جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 35 / آذار 2023

النص القرآني وصناعته للوعي الفكري عند المجتمع المعاصر

The Qur'anic text and its creation of intellectual awareness in contemporary society

م.د. مصطفى خالد جهاد العزاوي
Dr. Mustafa Khaled Jihad Al-Azzawi

المديرية العامة لتربية صلاح الدين/ قسم تربية سامراء
The General Directorate of Salahuddin Education/ Samarra Education Department

الكلمات المفتاحية: النص، القرآن، الوعي، الفكر، المجتمع.

Keywords: text ،Quran ،awareness ،thought ،society.

الملخص:

إنّ القرآن الكريم منهج كامل ودستور رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، ولقد عني هذا الدستور بكلّ التفاصيل وأدقها، سواءً أكانت في الواقع المعاصر أم الغيبي، فكانت التوجيهات التي جاءت من عند ربّ العالمين في هذا الكتاب العظيم واضحة جلية، وهي تضع الحلول الأبدية وتقف على الأزمات والمشاكل على مدى الأزمنة وفي مختلف الأمكنة، فتارة يرشد إلى التربية الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، وتارة يضع سياسة الدول ويرسم منهاجها، وتارة يحثهم على الرحمة والصدقة، وتارة يلزمهم بالفرائض والعبادات وغيرها من الأمور.

ومن الأمور التي عني بها القرآن الكريم ووضع له العلاجات والإرشادات في الوقت المعاصر هو موضوع الوعي الفكري حيث يحتل هذا الموضوع في عصرنا الحاضر أهمية بالغة وكبيرة في الحياة عبر كلّ الأوقات والأزمنة، فقد تحدث القرآن الكريم عنه وجاءت السور والآيات لتبين لنا أهميته.

إنّ الوعي هو الإدراك والفهم للأشياء والأمور والوقائع وتفاصيلها والأسباب الكامنة وراءها، والأحداث التي صاحبتها في إطار من المفاهيم والمقاييس والقناعات.

فالوعي الفكري هو صفة لازمة لكلّ إنسان، ويُعد الإنسان الفاقد للوعي دائماً ما يكون عرضة للوقوع في الخطأ والمشاكل.

Abstract:

The Holy Qur’an is a complete approach and a divine constitution that falsehood does not come to from before it or from behind it، a revelation from Al-aziz Al-Hamid، and this constitution was concerned with all the most accurate details، whether they were in the contemporary reality or the unseen، so the directives that came from the Lord of the worlds in this great book were clear It is clear، and it puts eternal solutions and stands on crises and problems throughout the times and in different places، at times it guides to correct education and virtuous morals، and at other times it sets the policy of states and draws their curriculum، and at other times it urges them to mercy and charity، and at other times it obliges them to obligatory acts of worship and other matters.

One of the matters that the Holy Qur’an was concerned with and set forth treatments and instructions for in the contemporary time is the subject of intellectual awareness، as this subject occupies in our present era a great and great importance in life across all times and times. The Holy Qur’an spoke about it، and the surahs and verses came to show us its importance.

Awareness is the realization and understanding of things، matters، facts، their details.

المقدمة

الحمد لله خالق الكون ومدبر الأمر الذي جعل للإنسان رُشداً وعقلاً يرشد للحقّ، وينور الدرب، ويسلك الطريق القويم، والصلاة والسلام على إمام الحق وسيّد الرسل محمّد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

يُعتبر القرآن الكريم منهجاً كاملاً، وطريقاً واضحاً يسير عليه الفرد والمجتمع في تحقيق أهدافهم المنشودة وفق خطط مرسومة مستنبطة من الآيات والسور الكريمة.

فلقد عني القرآن الكريم بكلّ التفاصيل وأدقها، سواءً أكانت في الواقع المعاصر أو الغيبي، فكانت توجيهات ربّ العالمين في هذا الكتاب المبين واضحة جلية، وهي تضع الحلول وتقف على الأزمات والمشاكل، فتارة يرشد إلى التربية الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، وتارة يضع سياسة الدول ويرسم منهاجها، وتارة يحثهم على الرحمة والصدقة، وتارة يلزمهم بالفرائض والعبادات وغيرها من الأمور.

ومن الأمور التي عني بها القرآن الكريم في الوقت المعاصر هو الوعي الفكري لما له من أهمية بالغة في الحياة في كلّ الأوقات والأزمنة، فقد تحدث القرآن الكريم عنه وجاءت السور والآيات لتبين لنا أهميته.

فالوعي الفكري هو صفة لازمة لكلّ إنسان، ويُعد الإنسان الفاقد للوعي دائماً ما يكون عرضة للوقوع في الخطأ والمشاكل.

إنّ الوعي هو الإدراك والفهم للأشياء والأمور والوقائع وتفاصيلها والأسباب الكامنة وراءها، والأحداث التي صاحبتها في إطار من المفاهيم والمقاييس والقناعات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنّ للوعي الفكري فوائد عدة، وعوائد مهمة، لا يدركها إلّا من تفكر ودقق وتأمل فيها، ولا يفهمها إلّا من جد وكدح ليتجاوز حالة السطحية والسذاجات المتراكمة، وعاش في حدائق الوعاة، واستنشق نسيم المستبصرين، واستطاع بفضل وعيه، وقراءته المستفيضة، وحسن تقديره في صنع روح توازنية، لا تجفو ولا تغلو.

كما تكمن أهمية الموضوع في أنّه يعالج كثير من القضايا المهمة التي تخص الفرد والمجتمع؛ لأن ما تشهده الأمّة الإسلامية من فتن، ومحن، وضياع للقيم والمبادئ يجعلنا من الذين يركزون كل جهدهم على مسألة الوعي الفكري للنهوض بواقع الأمّة والسير بها نحو جادة الطريق الصحيح.

ولقد جعلت عنوان بحثي موسوماً بـ(النص القرآني وصناعته للوعي الفكري عند المجتمع المعاصر).

خطة البحث:

وقسمتُ بحثي على مقدمة ذكرت فيها شرحاً مبسطاً للموضوع، وإلى عدة مباحث ومطالب وإلى خاتمة أذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

فأمّا المبحث الأول فجعلته : التعريف بالوعي الفكري وأهميته.

وأمّا المبحث الثاني فجعلته : النصوص القرآنية الدّالة على الوعي الفكري.

وأمّا المبحث الثالث فجعلته : الصناعة القرآنية للوعي الفكري ونهضته بالمجتمع.

وفي الختام أسال الله أن يوفقني في هذا العمل، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول

تعريف الوعي الفكري وأهميته

المطلب الأول تعريف الوعي والفكر لغةً واصطلاحاً

أولا: تعريف الوعي لغةً واصطلاحاً:

إنّ استخدام المفاهيم يتطلب تحديداً دقيقاً لمضامينها وتوضيحاً لأبعادها، حتى لا يؤدي ذلك إلى الارتباك في الفكر والاضطراب في الفهم والخلط بين المفاهيم، ويؤدى إلى الخطأ في إطلاق الأحكام على الناس والأشياء، ومن القواعد المعروفة أنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا لم تكن القضية المطروحة للبحث قد اتضحت معالمها في الأذهان وتحددت أبعادها فإنّ الحكم فيها سيكون حكماً بعيداً عن الصواب، لذلك لابد من تحديد مفهوم الوعي.

أ- **الوعي لغةً:** هو حفظ القلب للشيء، يقال: وعى الشيء والحديث يعيه وعياً وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واعٍ، وفلان أوعى من فلان أي أحفظ وأفهم، وفي الحديث: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ بَلَّغَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ))[1]، والوعي هنا هو الحافظ الكيس الفقيه[2].

ب- **الوعي اصطلاحاً:** إدراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً، وهو أساس كلّ معرفة[3].

ت- **الوعي الفكري اصطلاحاً:** امتلاك الفرد القدرة على فهم الأفكار بنفسه والتعبير بحرية ومناقشة الآراء الخاطئة، واستخدام عقله دون تقليد الآخرين، كما أنها إشارة إلى الاختلاف، خارجًا عن المجموعة، وبفكر مستقل.

ثانياً: تعريف الفكر لغةً واصطلاحاً:

أ- **الفكر لغةً:** يأتي الفكر في اللغة على معانٍ متعددة منها: إعمال العقل والتدبر في الشيء وتأمله، وكثرة الفكر وغيرها من المعاني.

والفكر: بفتح الفاء من فعل فكر يفكر افكاراً، تقول: فكر في الأمر، أعمل العقل فيه، وقيل الفاء والكاف والراء معناه: تردد القلب بالنظر والتدبر في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكير: كثير الفكر، والتفكر: التأمل، والفكر إعمال النظر في الشيء، والفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً[4].

والتفكير: إِعْمَال الْعقل فِي مشكلة للتوصل إِلَى حلهَا، وتفكر الشخص: تدبر واعتبر واتعظ، وتفكر في الطبيعة: تأملها، وأعمل العقل فيها ليصل إلى نتيجة، والْفِكر بالكسر: إِعْمَال الْعقل فِي الْمَعْلُوم للوصول إِلَى معرفَة مَجْهُول وَيُقَال لي فِي الْأَمر فكر نظر وروية[5].

ب-أمّا الفكر في الاصطلاح فله معنيان، أحدهما خاص والثاني عام، فالمعنى الخاص هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها، والمعنى العام يطلق على كلّ ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية[6].

كما عُرفت كلمة الفكر من ناحية الاصطلاح بتعريفات متعددة، ومن هذه التعريفات هو:

1- "قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان"[7].

المطلب الثاني: أهمية الوعي الفكري

للوعي الفكري أهمية كبيرة تنبع من القرآن الكريم، والسنة النبوية وأقوال العترة الطاهرة، التي تحث على ضرورة الوعي الفكري في جميع النواحي.

فيعد الوعي الفكري من الأمور المهمة التي يحتاج لها كلّ مجتمع، بل كلّ إنسان، لأن ما تقوم به الأمم من أعمال وصناعات وغيرها، وما يدور حولها من تحديات وتسارع في التطور والإنتاج يجعل كلّ إنسان وكلّ فريق عمل أن يكون واعٍ وعلى بصيرة على ما يدور من حوله، وعلى ما تقوم به الأمم الأخرى من أعمال وما تتخذه من مواقف، فالأمّة التي لها رسالة تحملها وتدعو لها فهي أمّة واعية معطاءة تعطي ولا تأخذ، متحركة نشيطة لها أفكارها ومفاهيمها وقناعاتها، أمّا الأمّة التي لا رسالة لها، أو أنّ لها رسالة ولكنها لا تعمل بها ولا تدعو لها، فهي أمّة ميتة تخلو من الوعي ولا تدرك ما يدور حولها، مثلها كمثل النائم يكون حياً ولكنه غير واعٍ ما دام نائماً.

إنّ الوعي الفكري يُشكل أهمية قصوى ذات آثار إيجابية في بناء المجتمعات وتطورها، ويتضح ذلك جلياً في المجتمعات التعليمية لما لها من أثر كبير في تكوين وعي الشباب وشخصيته داخل نطاق المحيط الدراسي

وخارجه، إضافة إلى امتداد تأثيرها إلى أكبر شريحة في المجتمع، بل إن الإنسان الواعي في البيئات التعليمية، يكون له أثر إيجابي نظراً لأن كل أقواله تتطابق مع أفعاله ويصبح قادراً على التعامل مع كل من يخالطه ويستطيع أن يتحاور معهم دون إقصاء أو تصادم، لأن الحوار الواعي الذي يُعد من لغات الإنسان المتطور ذاتياً، هو ذلك الحوار الذي يقبل الآخرين وآرائهم[8].

إنّ كل عمل ناجح لابد أن يكون مستنداً على وعيٍ فكريٍ ثاقب حتى يكون عملاً ناجحاً، إنّ من ضروريات الحياة أن يكون الفرد دائم التفكير بمستقبله سواء القريب أو البعيد، المتعلق منه بالحياة الدنيا، أو بما بعد الحياة الدنيا، وكذلك التفكير بالواقع الذي يعيشه سواء بتغييره إن كان واقعاً مريراً، أو تحسينه وهو من الأمور الضرورية للإنسان والحياة؛ لأن التغيير هو الحركة والحركة هي الحياة، لذا كان لا بد لكلّ أمّة من التفكير بتغيير الواقع والعمل على تغيير أحوالهم، منطلقين بهذا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[9].

ومن هنا كان الوعي الفكري بمكونيه معرفة الواقع وفهمه وإدراكه وفهم البديل لهذا الواقع وإدراكه ومعالجاته في إطار المفاهيم والقناعات والمقاييس هو الأساس في التغيير، وكلّما ازداد الوعي عند الأمّة كلّما ازداد إحساسها بالقضايا الفكرية[10].

المبحث الثاني

الآيات الدالة على الوعي الفكري في القرآن الكريم

إنّ الوعي الفكري في النص القرآني يتطلب الفهم والإدراك وتفنيد الأفكار والوقائع بحسب واقعها وموضوعها، ولقد رسم النص القرآني الطريق الواضح والمنهج المعتمد لتشكيل الوعي الفكري الجماعي للأمّة، فالسير على منهج القرآن في العصر الحاضر يقتضي امتلاك الوعي الفكري[11].

ولقد وردت آيات متعددة في القرآن الكريم تدل على مبدأ الوعي الفكري، ونوردها كما يأتي:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[12]، وجه الدلالة: أي هل يستوي العارف بالله سبحانه، العالم بدينه، والجاهل به وبدينه، فجعل الأعمى مثلا للجاهل، والبصير مثلا للعارف بالله وبنبيه[13].

ولوجوب الوعي الفكري في الشريعة الإسلامية فقد تكلم ربنا عز وجل في كتابه الكريم عنه، وحث عليه حتى لو كان من بعض الأمّة، وليس كلّها فقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[14].

ونجد بأنّ القرآن الكريم قد جاء بآيات كثيرة التي تحض وتحث على الوعي الفكري والتفكير.

فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[15]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسمى ﴾[16].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[17].

يضرب الله لنا مثلاً للذين لا يتفكرون في أنّهم لا يسمعون من الدعاء إلّا جرس النغمة والصوت، من غير تفهم واستبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلّا دعاء، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء[18].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[19]، وهو أمر من الله لعباده أن يتفكروا فمعناه كونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون[20].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[21].

وَفِي قَوْلِهِ (صلى الله عليه وآله): ((فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[22] إِشَارَةٌ إِلَى تَفَاوُتِ الْأَفْهَامِ، وَأَنَّ سَامِعَ الْخَبَرِ قَدْ يَسْتَنْبِطُ مِمَّا سَمِعَ مَا لَمْ يَسْتَنْبِطْهُ الرَّاوِي الَّذِي نَقَلَ الْكَلَامَ.

المبحث الثالث

الصناعة القرآنية للوعي الفكري ونهضته بالمجتمع

إنّ الأمّة الإسلامية إذا اتبعت المنهج الذي حدده ربنا في القرآن الكريم في خطابه للأمّة، فإنّها ترتقي للمكانة العالية لامتلاك الوعي الفكري الصحيح في كيفية مواجهة الأفكار الضالة والمنحرفة الأخرى، فالأمّة التي لها رسالة تحملها وتدعو لها فهي أمّة واعية معطاءة تعطي ولا تأخذ، متحركة نشيطة لها أفكارها ومفاهيمها وقناعاتها، أمّا الأمّة التي لا رسالة لها، أو أنّ لها رسالة ولكنها لا تعمل بها ولا تدعو لها، فهي أمّة ميتة تخلو من الوعي ولا تدرك ما يدور حولها، مثلها كمثل النائم يكون حياً ولكنه غير واع ما دام نائماً[23].

1- إشارة القرآن لعوامل الفكر وللعملية الفكرية ليست من قبيل الذكر العابر بل لإرشادنا لطريقة التفكير العقلية، وإذا أضفنا إلى ذلك طريقة القرآن في النفي والإثبات، وفي الاستدلال وفي الإقناع والمحاججة وفي البرهنة والتدليل، فإننا نجده يستعمل الطريقة نفسها فهو يشير إلى القوانين التي تحكم سير الأشياء ليجعل الإنسان يلمس ويحكم بأنّه مفروضة على الكائنات وأنّها من الخالق: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[24]، فالحواس تنقل لنا صور الواقع المادي المختلفة، والعقل حصلت لديه معلومة أنّ المادة تسيرها قوانين ثابتة، والآية تثبت كون هذه القوانين مفروضة على المادة، ليقرر العقل ببساطة أنّ الذي فرضها هو الذي خلق الكون والإنسان والحياة، أي خالق المادة بمختلف أشكالها وصورها[25].

2- عني النص القرآني على أنّ الوعي الفكري ضرورة ملحة مرتبطة ارتباطاً كلياً بتحديد هدف الإنسان في الحياة وتشخيص موجهات ذلك الهدف، فسعادته تكون بمقدار تمسكه بالهدف الذي خلق من أجله، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[26].

3- لقد ركز النص القرآني على الوعي الفكري والتفكير والبصيرة ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[27]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[28]، ما يدل على وعي وبصيرة بالفكرة وأحكامها ونظمها وقوانينها وما جاءت به من أفكار ومعتقدات، ووعي وبصيرة بالطريق بحيث يتم التعرف على كلّ خطوة يخطوها، ووعي بالكيفية التي تنفذ بها الفكرة وأحكامها، ووعي وبصيرة بالواقع الذي يعمل فيه لتغييره، بحيث يحيط علماً وفهماً وإدراكاً بما في هذا الواقع من عقائد وأفكار ونظم، وما فيه من أعراف وتقاليد، حتى يعرف كيف يقتلعها من النفوس، ويغرس بدلاً منها ما جاء به من عقائد وأفكار وأحكام[29].

4- إنّ التغيير الذي ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[30] هو مفهوم منه بتغيير ما يحملون من أفكار ومفاهيم وقناعات، والأمّة الإسلامية بعد أن سارت فترة من الزمن مبتعدة عن أفكارها ومنقطعة عن طريقة تفكيرها في وقائع الحياة، ضعفت أفكار الإسلام الصحيحة في نفوس أبناء الأمّة، ممّا أدى للضعف الذي طرأ على الأذهان في فهم الإسلام، ودبّ فيها الضعف الفكري، والذي أوجد في عقليات أبنائها فراغاً فتح لأعدائها فرصة توصيل أفكارهم وترسيخها في قسم من هذه العقليات لتكون بديلاً عن أفكار الإسلام، والمسلمون عندما فقدوا وضوح التصور للإسلام ومنهجيته في النهضة، فإنّهم وقعوا في غياهب التخلف والضمور حتى أضحت أمّة الإسلام إلى ما هي عليه الآن[31].

5- إنّ النص القرآني قد رسم لنا منهجاً فكرياً وعملياً يتمثل بالشريعة الإسلامية التي يشير إليها في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾[32].

ويتضح ذلك في الآيات الكريمة السابقة التي وضعت محددات أدوات المعرفة بوصفها عاملاً أساسياً في تكوين البصيرة فيخرج السمع والبصر إلى المعرفة الحسية، أمّا الفؤاد فيخرج إلى المعرفة العقلية، فالبصيرة هو الإدراك العقلي بما لا يمكن رؤيته بالبصر، وهذا المعنى يلتقي مع الدلالة العقلية بالوعي.

إنّ الوعي الفكري المتشكل عبر الخطاب القرآني يتطلب فهم الأفكار والوقائع وإدراكها وتنفيذها بحسب واقعها وموضوعها، فإن كان موضوعها عقلياً كان الرد عليها عقلياً كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[33]، فالشك في وجود الله قد جاء من عدم القناعة العقلية الكافية بوجود الله سبحانه، والرد على ذلك جاء من الاستنكار لهذا الشك؛ لأن العقل وكلّ عقل لا يملك إلّا الإيمان الجازم اليقيني بالله، وهذا الاستنكار والاستهجان سببه ما يعتمد عليه العقل من مسلمات وبديهيات تثبت أنّه لا يمكن لما يقع حس الإنسان عليه إلّا أن يكون مخلوقاً لله سبحانه وتعالى، فكيف بالسماوات والأرض وما فيهما، وما بينهما، أيشك في خالقها[34].

إنّ الخطر الحقيقي الذي تواجهه الأمّة ليس كامناً في أن يكون لهذه الأمّة أعداء، فالصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، سنة من سنن الحياة، بل يكمن في أن يكون له أصدقاء سذج سطحيو التفكير لا يمتلكون الوعي الفكري حيث يتحرجون في غير تحرج ويصمتون في غير موضع صمت، ويقفون أمام الأحداث والأفكار مندهشين لا يستطيعون فعل شيء.

فصمام الأمان للأمّة للمحافظة على أفكارها نقية صافية محافظة على مبدأها لترتقي للمكانة التي أرادها الله لها هو امتلاك الوعي الفكري كما رسمه الخطاب القرآني في كيفية التصدي للعقائد الباطلة والنظم الفاسدة، ولقادة الضلال، ومواجهة المجتمع بالأفكار السائدة فيه والنظم المطبقة فيه والحكام الذين يحكمونه، والعادات والتقاليد والأعراف السائدة فيه، فيكون الخطاب القرآني وجه الوعي الفكري إلى أرقى طراز وذلك ظاهر من استقراء طريقته في الدعوة وفي التغيير كما سبق بيانه، فالوعي الفكري الذي رسمه القرآن الكريم بالوعي على المبدأ الإسلامي وعلى فساد المبادئ الأخرى هو الذي يدفع لإقامة المبدأ الصحيح وفيه كلّ معروف وإزالة المبادئ الفاسدة وكلّها منكر، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا النحو الراقي المحدد قد حدده القرآن الكريم للأمّة الإسلامية في كلّ زمان ومكان.

فيجب أن ندرك ونفهم كيف تنهض وترتقي الأمم، ليتسنى لنا إدراك أهمية الوعي الفكري، فالذي يحدد الرقي والانحطاط في أي أمّة ما هي حضارتها التي تقوم عليها، والحضارة هي طريقة العيش وأنماط السلوك والعلاقات التي تتميز بها الأمم، فالحضارة هي مجموعة المفاهيم والقناعات والمقاييس عن الحياة، وهذا غير المدنية، فالمدنية هي مجموعة الأشكال والوسائل المادية المستعملة في شؤون الحياة، فالأساس في رقي الأمم ونهضتها هو ما تمتلكه هذه الأمم من أفكار وطريقة تفكير منتجة في وقائع الحياة[35].

فالأفكار هي سلاح الأمم، تنهض بها حين تزدهر وتنشط، وتتخلف حين تخبو وتضمحل، وبقاء الأمم بدوام شعلة الفكر فيها، واضمحلالها بانطفاء هذه الشعلة، وهذا التفكير الذي يجب أن يوجد في الأمّة ليس هو البحث في الأمور غير المحسوسة أو إقامة الفرضيات والاستناد إليها، إنّما هو التفكير المنتج في الوقائع التي تحصل للإنسان في كلّ يوم وفي كلّ ساعة، والتفكير في الأمور المحسوسة، والبحث في الطبيعة وما فيها للاستفادة ممّا فيها من أشياء ولتأصيل الإيمان بالله تعالى عن طريق النظر والتفكير في مخلوقات الله، هذا هو التفكير الذي يوجد لدى الأمّة القدرة على الحياة الناهضة، يؤدي إلى فهم الوقائع والأشياء وإدراكها والحكم عليها وتعيين المواقف منها، ويؤدي إلى تحديد المعالجات، ومن ثم إلى ترجمة هذه المواقف والمعالجات إلى أعمال مادية، فالفكر هو الذي يترتب عليه عمل مادي، وهو الذي يؤدي حتماً إلى نتيجة محسوسة، وذلك بالسرعة الكافية، فإذا لم يكن للأمّة مثل هذا التفكير ومقدرة على تعيين المواقف وإقامة الأعمال المادية، لم تكن الأمّة جديرة بالحياة، فغلبتها الأمم وتكالب عليها الأعداء، دون أن تستطيع رد ذلك[36].

الخاتمة

1- يعد الوعي الفكري صمام الأمان للأمّة ولحملة الدعوة في مواجهة موجات الغزو الفكري والثقافي، والأمّة الإسلامية بعد أن سارت فترة من الزمن مبتعدة عن أفكارها ومنقطعة عن طريق تفكيرها في واقع الحياة، ضعفت أفكار الإسلام الصحيحة في نفوس أبناء الأمّة ممّا أدى إلى الضعف الذي طرأ على الاذهان في فهم الإسلام ودب فيها الضعف الفكري.

2- إنّ الوعي الفكري الذي رسمه القرآن الكريم هو الوعي الذي يقوم على المبدأ الإسلامي وعلى فساد المبادئ الأخرى هو الذي يدفع لإقامة المبدأ الصحيح، وفيه كلّ معروف وإزالة المبادي الفاسدة وكلها منكر، وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا النحو الراقي، قد حدده القرآن الكريم للأمّة الإسلامية في زمان ومكان، وهذا لا يتأتي إلّا بامتلاك الوعي الفكري كما رسمه القرآن الكريم.

3- إنّ الوعي الفكري المتشكل في النص القرآني لهو النموذج الراقي الرباني المنتج، فعلى أبناء الأمّة العاملين لهذا الدين لاستئناف الحياة الإسلامية أن يتدبروا طريقة القرآن الكريم في الخطاب.

4- إنّ للوعي الفكري ضرورة قصوى لواقع متأزم معيشي تتفاقم فيه آفات العجز الفكري وفقدان الرؤية النقدية العلمية، وهذا يدعو المسلم إلى التنبه على هذا الخطر العظيم، فيحركه باتجاه المصالحة مع الذات الإسلامية الواعية قيادةً وجمهوراً.

5- إنّ امتلاك الوعي يتطلب المعرفة والإدراك للتفاصيل المتعلقة بالوقائع والكامنة ورائها في إطار من المفاهيم والمقاييس، ومن ثم معرفة المعالجات لهذه الوقائع سواء بالتحسين أو التغيير.

6- إنّ الوعي الفكري هو المدخل الأساس لمعرفة واقع الصراعات والأطراف المؤثرة فيه، والعنصر الأهم في نجاح المشروع الإسلامي، فإنّ كثيراً من التداعيات التي تشهدها الساحة الإسلامية وتتعرض لها الحركات والقوى الإسلامية في العالم تعود أسبابها إلى غياب الوعي الفكري، ومن ثم إلى التخّلف عن معرفة وإدراك واقع الصراع وأدواته.

7- الوعي الفكري إذا ما توفرت مفاهيمه ومقوماته في الأمّة وأبنائها، فإن تأثيره في المجتمعات والأمم يعمل على تحويل الرأي العام الشعبي إلى قوة ضغط على ممارسات وتصرفات الحكومات والأنظمة الفاسدة.

8- إنّ مواجهة الغزو الغربي الثقافي والفكري، لا يتأتي إلّا بنوعية خاصة من المخرجات التي تتشكل من تدبر الآيات القرآنية لامتلاك الوعي الفكري.

9- الوعي الفكري يتطلب من المسلم أن يعرف مسؤولياته الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية بموجهات النص القرآني، فالوعي بهذه المسؤوليات يقود إلى الغوص في الأعماق فيقي من الوقوع في الخطأ أو التغرير والتضليل، والوعي يحرك الذهن باتجاه الربط بين الأشياء فتتكون النظرة

الشمولية التي يراقب بها سلوك الإنسان قولاً وفعلاً ويؤلف الوعي مادة ثرة للوعي الإسلامي الذي يكون مناراً للآخرين، وهذا صنع المتخصص بثقافة الوعي الإسلامي العميقة الواضحة في نتاجهم الفكري، ممّا يثري في المتلقي القدرة على التشخيص الدقيق.

الهوامش:

1 المعجم الأوسط للطبراني، 272/5، رقم الحديث (5292).
2 ينظر: لسان العرب، 396/16، مادة (وعي).
3 ينظر: مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية، ص253.
4 ينظر: القاموس المحيط، ص458، مادة (فكر)، معجم مقاييس اللغة، 446/4، مادة (فكر)، مختار الصحاح، ص242، مادة (فكر)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 479/2، مادة (فكر).
5 ينظر: المعجم الوسيط، 698/2، مادة (فكر)، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1733/3، مادة (فكر).
6 ينظر: تاريخ الفلسفة العربيّة، 154/2.
7 المفردات في غريب القرآن، ص643.
8 مقال الوعي الفكري بين الضرورة المجتمعية والمواكبة العصرية، د. حمد بن محمد الشدّادي، صحيفة الوئام، 10 يوليو سنة 2019.
9 سورة الرعد: الآية 11.
10 ينظر: الطريق، ص23.
11 الوعي الفكري من المنظور القرآني، د. معراج أحمد الندوي، صحيفة المثقف، العدد: 4873، المصادف:2020/1/8.
12 سورة الأنعام: الآية 50.
13 تفسير مجمع البيان، 59/4.
14 سورة التوبة: الآية 122.
15 سورة البقرة: الآية 219.
16 سورة الروم: الآية 8.
17 سورة البقرة: الآية 171.
18 ينظر: تفسير جوامع الجامع، 286/1.
19 سورة يونس: الآية 24.
20 ينظر: الأصول من الكافي، 75/8.
21 سورة الرعد: الآية 3.
22 سنن الترمذي، 330/4، رقم الحديث (2656).
23 ينظر: مفاهيم علماء النفس، ص5.
24 سورة البقرة: الآية 258.
25 ينظر: التفكير من خلال القرآن الكريم، صالح عبد الكريم – تونس، مجلة الوعي، العدد 106 – 107 – السنة العاشرة – رمضان وشوال 1416هـ – شباط وأذار 1996م.
26 سورة المؤمنون: الآية 115.

27 سورة يوسف: الآية 12.

28 سورة الأعراف: الآية 203.

29 ينظر: النهضة، ص167.

30 سورة الرعد: الآية 11.

31 ينظر: مفاهيم علماء النفس، ص5.

32 سورة الأنعام: الآية 6.

33 سورة إبراهيم: الآية 10.

34 ينظر: طريقة القرآن في الخطاب، ص 25.

35 ينظر: أسس النهضة الراشدة، ص68.

36 ينظر: القرن الخامس عصر النهضة، عبد الرحمن البغدادي، على الموقع التالي:
http://www.alokab.com/forums/index.php?showtopict. يوم الجمعة، الساعة 11 مساءاً: بتاريخ: 2008/1/11.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-أسس النهضة الراشدة، أحمد القصص، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، من منشورات رابطة الوعي الثقافية، ط1، 1995م.

2- الأصول من الكافي، ثقة الاسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي رحمه الله (المتوفى: 329هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية – طهران، ط4، 1362هـ.

3-تاريخ الفلسفة العربيّة، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط2، 1973م.

4- تفسير جوامع الجامع، للمفسر الكبير والمحقق النحرير الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره (المتوفى: 548هـ) تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط1، 1418هـ.

5- تفسير مجمع البيان، أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى: 548هـ) تحقيق: تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ – 1995م.

6- التفكير من خلال القرآن الكريم، صالح عبد الكريم – تونس، مجلة الوعي، العدد 106 – 107 – السنة العاشرة – رمضان وشوال 1416هـ – شباط وأذار 1996م.

7- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م.

8- الطريق، أحمد عطيات، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان – الأردن، ط2، 1996م.

9- طريقة القرآن في الخطاب، أحمد المحمود، مجلة الوعي، العدد (165)، شوال 1421هـ، كانون الثاني.

10- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.

11- القرن الخامس عصر النهضة، عبد الرحمن البغدادي، على الموقع التالي:
http://www.alokab.com/forums/index.php?showtopict. يوم الجمعة، الساعة 11 مساءاً: بتاريخ: 2008/1/11.

12- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

13-مختار الصحاح، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.

14-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

15-المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

16-معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.

17-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

18-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

19-مفاهيم علماء النفس، هشام البدراني، دار البيارق، الأردن، ط1، 1997م.

20-مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية، أحمد خورشيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1990م.

21-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.

22-مقال الوعي الفكري بين الضرورة المجتمعية والمواكبة العصرية، د. حمد بن محمد الشدّادي، صحيفة الوئام، 10 يوليو سنة 2019.

23-النهضة، حافظ صالح، دار النهضة الإسلامية، بيروت- لبنان، ط2، 1994م.

24-الوعي الفكري من المنظور القرآني، د. معراج أحمد الندوي، صحيفة المثقف، العدد: 4873، المصادف:2020/1/8.